

التبيان في تفسير القرآن

(464) لا يكون لاحد منعه منه فعلى هذا الوجه لا يكون الحرام رزقا، فان ا ﷻ تعالى قد منع منه بالنهي وقد سمي رزقا ما يصلح للانتفاع به مجازا، فعلى هذا ليس كل ما رزقه ا ﷻ العبد جعل له الانفاق منه والتصرف فيه، وعلى الاول - وهو الاصح - جعل له ذلك، ثم قال لنبيه (صلى ا ﷻ عليه وآله) قل لهم يا محمد * (إن انتم إلا في ضلال مبين) * أي ليس لكم هداية وما انتم إلا في ذهاب عن الحق وعدول عنه بين، فعلى هذا قول من قال: هو من قول ا ﷻ تعالى صحيح. وقال قوم: هو من قول المشركين كأنهم لما قالوا: انطعم من لو يشاء ا ﷻ اطعمه؟ قالوا لرسله ليس انتم إلا في ضلال مبين في ما تدعوننا اليه. ثم اخبر تعالى عن الكفار انهم * (يقولون متى هذا الوعد) * الذي تعدنا به من نزول العذاب بنا استهزاء بخبره (صلى ا ﷻ عليه وآله) وخبر المؤمنين وتجريا على ا ﷻ * (إن كنتم صادقين) * في ما تدعوننا اليه وتخوفونا منه. فقال ا ﷻ تعالى في جوابهم * (ما ينظرون) * أي لا ينتظرون * (إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخضمون) * في هل ينزل العذاب بهم أم لا؟ وإنما جعلهم منتظرين لما قالوا: متى هذا الوعد، لان من يلتمس الوعد يكون منتظرا لما وعد به * (تأخذهم) * في حال خصامهم * (فلا يستطيعون توصية) * أي لا يقدر بعضهم على ان يوصي إلى بعض * (ولا إلى اهلهم يرجعون) * أي لا يردون إلى اهلهم فيوصون اليهم. والصيحة التي تأخذهم هي الصيحة الاولى في الدنيا عند قيام الساعة * (تأتيهم بغتة) * والرجل يسقي أبله وآخر يبيع سلعته على عادتهم في تصرفاتهم، فاذا اخذتهم ونزلت بهم لم يستطيعوا توصية ولم يرجعوا إلى اهلهم للمعاجلة، وروي عن النبي (صلى ا ﷻ عليه وآله) انه قال (هي ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين).